الباب السادس

مكانة السلام في دين الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

مكانة السلام في دين الإسلام

السلام..

أمنية غالية وحلم جميل أنشودة العالم كله ، لا يعرف قدره إلا من حُرِمه من افترش الأرض والتحف السماء وأكل الهواء من فقد عزيزاً لديه ، والداً أو ولداً قريباً أو صديقاً أو بريئاً أيما كان ، إلا من نام على خوف واستيقظ على رعب على صوت القنابل والصواريخ التي تحمل معها القتل والتشويه والبكاء والعويل والصرخات والآهات لتلون الأخضر بلون أحمر من دماء الأبرياء ليعيش كل من فقده سنوات عمره طريد الذكريات ذكريات الألم والمعاناة ، هل يا ترى يتحقق؟ هل يأتي اليوم الذي تستظل البشرية بظلاله ؟هل تتكاتف الأيادي وتجتمع الجهود من أجل غرس شجاره والحفاظ على ثماره؟ نعم إنه لحلم قريب بعيد ما أقربه لو سعينا بإخلاص نحو طريقه وما أبعده لو تعامينا فسرنا في طريق آخر ولو أسميناه طريق السلام ، إنه ليس ثَمَّ طريق غيره وهو طريق العدل والرحمة الذي ينتهي حتماً إلى السلام المنشود .

من أجل ذلك كله نجد عناية الإسلام بالسلام حيث وضع مبادئه وحث عليه وكيف لا والسلام في الإسلام يرتبط بالعقيدة والعبادة والعمل والحياة .

لقد وضع الإسلام مجموعة من المبادئ التي من شأنها أن ترسخ السلام .

المبدأ الأول : الأصل في العلاقات الفردية والجماعية محلية أو دولية هو السلام .

وهو المبدأ الذي حدده القرآن الكريم وجهر به وجعله الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين الشعوب والأمم بعضها البعض دون النظر إلى فوارق بينها أياً كانت، دينية جنسية لغوية طبقية إلخ ، هذا المبدأ ينبع من قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات ١٣].

المبدأ الثاني : المساواة في الإنسانية :

وهو المبدأ الذي ختم به رسول الإسلام دعوته وحياته في أعظم تجمع عبادي في الحج الأكبر ، حيث قال لهم : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » .

هذا المبدأ الذي يلغي الفوارق الطبقية واللونية والعنصرية المقيتة بكل أشكالها ليعلن للناس جميعاً لا فضل عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح حينئذ يرى العامة من الخاصة قرباً برحمة لا تعالياً بجفاء فتصفو السرائر وتنقى الضمائر وتنشأ المحبة بين الجميع أكابر وأصاغر ، ومن هذا الإطار الخاص ينطلق السلام حيث إطار الإنسانية العام .

المبدأ الثالث : السلام من لوازم الإيمان :

هذا المبدأ الذي أوصى به النبيﷺ أصحابه في نفس هذا التجمع العظيم وهو يوصيهم بأعظم الوصايا وصايا المودع يدعو كل المسلمين إلى السلام وأنه من لوازم الإيمان محذراً من الحرب والاعتداء وأنها من لوازم الكفر حيث قال : « لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » رواه مسلم

المبدأ الرابع : الإسلام يرتبط بمسميات كثيرة في الإسلام :

أي عظمة هذه أن يكون الإسلام بمعنى السلام ، فإذا ذُكِرت إحداهما دلت على الأخرى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة٢٠٨].

يقول المرحوم أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام : (لفظ الإسلام ومعناه إذا تتبعنا مادة س-ل-م ـ الإسلام رأينا أن معنى السلام المسالمة وضد الحرب) .

يأتي في مقدمة هذه المسميات اسم الله تعالى فمن أسمائه عز وجل السلام :

قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ [الحشر ٢٣] .

السلام من أسماء الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس ٢٥] .

تحية الملائكة لأهل الجنة السلام :

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر ٧٣] وقال تعالى : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس ١٠] .

السلام تحية الله لأهل الجنة :

قال تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [يس ٥٨] .

السلام وَصْف لأعظم ليلة عند المسلمين ليلة القدر ـ ليلة نزول القرآن ـ قال تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر ٥] .

المبدأ الخامس : السلام من لوازم العبودية :

ترتبط كل العبادات في الإسلام بالسلام وبقدر ما تحققه من معنى السلام يكون المسلم قد جاء بحقيقة العبادة.

الصلاة :

فحقيقة الصلاة هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

ولا تصح إلا بالتشهد الذي يقول فيه المسلم : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) .

ولا يخرج منها المسلم وينتهي من شعائرها إلا أن يسلم على اليمين واليسار : السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فراغه منها يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

الزكاة :

فُرِضت لتعميق معاني التكافل والرحمة وتقوية أواصر المحبة وإذهاب الحقد والغل والحسد من القلوب حيث يجد الفقراء البر والعطف من الأغنياء فيعم السلام وتنتشر الرحمة ونقضي على أهم أسباب الجرائم الاجتماعية .

الصوم :

من أهم أهدافه وأبعاده البعد الاجتماعي ، فشهر رمضان أحد وسائل المنهج الرباني في التربية الفردية الذاتية والجماعية للوصول للسلام النفسي والجماعي .

حيث الارتقاء بالنفس عن أسر الشهوات المادية وضبط النفس عن دنايا الأخلاق وسيئ العادات والاتصاف بالصبر فلا يؤذي غيره ولا يدفع الأذى بمثله .

وفي الحديث « والصوم جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولايجهل فإن شَاتَمه أحد أو قاتله فليقُلْ إني صائم » رواه أحمد و مسلم والنسائي .

الحج :

يُسَن لمن رأى الكعبة حاجاً أو معتمراً أن يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »

وحقيقة الحج في الإسلام والتي ينال صاحبها شرف الجنة ومغفرة الذنوب هو الحج السالم من الأذى منعاً من وقوعه وعدم الرد بمثله عند حدوثه ، وفي الحديث « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخاري ومسلم

المبدأ السادس : السلام من الصفات الأساسية لعباد الرحمن :

أمر الله عباده المؤمنين أن يكون جوابهم تجاه جهل الجاهلين أن يقولوا ﴿ سَلَٰمًا ﴾

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان٦٣]

ولما توعد والد إبراهيم ابنه بالأذى قال له ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ [مريم٤٧].

وأمر القرآن النبي ﷺ أن يتعامل بالسلام القولي والفعلي مع مخالفيه ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ [الزخرف ٨٩] .

وأمره أن يُقرئ أتباعه السلام كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام ٥٤] .

المبدأ السابع : تحية الإسلام السلام :

تحية الإسلام هي السلام ، وهذه التحية بمثابة عهد ميثاق بين المسلِّم والمسلَّم عليه ، كأنه يقول له : بيني وبينك عهد بالمسالمة وعدم الإيذاء وهذه التحية لا تقتصر على وقت محدود كالصباح مثلاً إذا قيل : (صباح الخير) أو المساء في (مساء الخير) يسلم بها المسلم على المسلم وغير المسلم ، من يعرف ومن لا يعرف.

تحية السلام تبدأ بترسيخ معنى السلام النفسي أولاً :

حيث أشار القرآن أن تحية السلام التي تلقيها على غيرك إنما هي لك عائدة عليك أو أن تحية السلام التي تلقيها على غيرك إنما هو سلام لنفسك لأن سلامك من سلامه وسلامه من سلامك وأقول والسر هنا هو أن المسلَّم عليه يرد السلام على المسلِّم فيكون المسلِّم قد حقق لنفسه السلام بإلقائه على غيره .

يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور٦١] هذا السلام النفسي الذي إن تحقق انسحب بظلاله الوارفة على محيط الإنسان الذي يعيش فيه ومن هنا كانت عناية القرآن بتربية الضمير وعدم الاستسلام لنوازع الشهوات المدمرة والغرائز العدوانية والأمر بالارتقاء بهذه النوازع لتصل إلى مستوى أخلاقي حيث يقابل الإنسان الشر بالخير والظلم بالعفو

والإساءة بالإحسان ، ولا يزال العبد يرتقي في سلم الفضائل حتى يصير إلى مرتبة النفس المطمئنة التي قال الله فيها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر ٢٧ - ٣٠] .

تحية السلام عهد وإعلان بحسن النية لا يجوز خيانته

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء ٩٤] .

جاء الأمر بإفشاء السلام وليس فقط بإلقائه وهو سبب لدخول الجنة .

وفي الحديث الشريف « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

فالسلام سبب للمحبة والمحبة موصلة للإيمان الذي هو سبب دخول الجنة .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما قال : سأل رجل النبي ﷺ : أيّ الإسلام خير؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف » رواه البخاري ومسلم .

المبدأ الثامن : القوة في الإسلام للمحافظة على السلام :

القوة في المفهوم الإسلامي هي للردع والزجر وإرهاب الخصم الذي يفكر في الاعتداء ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

المبدأ التاسع : الحرب في الإسلام دفاعية وليست هجومية :

لرد الاعتداء ورفع الظلم وإرجاع الحق الذي لا يعود إلا بالقوة ، قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

[البقرة ١٩٠].

المبدأ العاشر : ليس الخيار العسكري هو الحل الأمثل لرد الحقوق متى أمكن الحل السلمي:

متى أمكن إرجاع الحق ورد الظلم عن طريق السلم فذلك أَوْلى ، قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال ٦١] وفي صلح الحديبية أعلن الرسول الأعظم أنه إن دعته قريش إلى خطة يسألون فيها صلة الرحم إلاأعطاهم إياها.

المبدأ الحادي عشر : الكون كله أمانة عند الإنسان :

هذه الأمانة التي كانت سبب استخلافه في الأرض : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[هود٦١] .

من أجل كون الإنسان هو خليفة الله في هذا الكون المسخر من أجله أعطاه الله خصائص السيادة في هذا الكون منها :

خَلْقه في أحسن تقويم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين٤] ، نعمة العقل التي تم بها التكليف ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء٧٠] .

الثواب والعقاب على الخير والشر ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم ٣١] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾

[الزلزلة ٧، ٨]

المبدأ الثاني عشر : السلام منهج في الدعوة الإسلامية :

تذكيراً بنعمته :

حينما دعا القرآن مشركي العرب إلى الإيمان ذكَّرهم بنعمة الأمن والسلام ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ [قريش٤] .

وعداً بتحقيقه :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام٨٢].

من خلال ما سبق يتبين لنا عِظَم مكانة السلام في الإسلام ، سلام في تحيته ، في عقيدتـه ، في عباداته ، في معاملاته ، في دعوته ، سلام مع الفرد ، سلام مع البيت مع المجتمع مع المسلم مع غير المسلم ، مع من عرفنا مع من لم نعرف ، سلام في الدنيا سلام في الآخرة في الجنة ، سلام من الملائكة سلام من الله .